

الوضع الدولي لمدينة طنجة في عهد الحماية

تمهيد إشكالي :

عرف المغرب مجموعة من الضغوط الاستعمارية خلال القرن 19 م وطلع القرن 20 م انتهي بفرض الحماية عليه سنة 1912 م، فتم تقسيم المغرب إلى منطقتين نفوذ فرنسية وأخرى إسبانية، بينما ظلت طنجة تعيش وضعاً خاصاً اصطلاح عليه بالوضع الدولي.

• فما هو سياق تدوير طنجة وأبعاده العامة؟

• وما هي الوضعية الإدارية لطنجة خلال النظام الدولي؟

• وما هي الوضعية الاقتصادية والاجتماعية لطنجة؟

• وما هي ردود فعل سكان طنجة إزاء التدوير وإسهامهم في الكفاح الوطني؟

I - سياق تدوير طنجة وأبعاده العامة:

1 - سياق تدوير طنجة:

إن جذور الاهتمام الدولي بطنجة يعود إلى نهاية ق 18 م، ففي سنة 1794 م تم إنشاء مدرسة البعثة الكاثوليكية الإسبانية، وفي نفس السنة انتقل القنصل الفرنسي من الرباط للاستقرار في طنجة، ثم توالت بعد ذلك الأحداث حيث تعرضت المدينة لقصف فرنسي سنة 1844 م بحجة الدعم المغربي للأمير عبد القادر الجزائري في مقاومته للاحتلال الفرنسي، وفي سنة 1864 م تأسست مدرسة الرابطة الإسرائيلية العالمية، إلا أن الوضع الحالي لطنجة سيبدأ مع سنة 1904 م على إثر الاتفاق السري بين إسبانيا وفرنسا حول طنجة، وفي سنة 1912 م تم توقيع معاهدة الحماية التي قسمت المغرب إلى منطقة نفوذ فرنسية وأخرى إسبانية، أما طنجة فعاشت وضعية خاصة، وأمام رفض فرنسا لمسألة تدوير طنجة والتي كانت تعبر فيها عن موقف المعارضة المغربية لهذه المسألة، سيتم التوقيع على معاهدة التدوير في 18 دجنبر 1923 م بعد سلسلة من المساومات بين القوى الإمبريالية، خاصة بين فرنسا وبريطانيا لتصبح طنجة دولية.

2 - أبعاد تدوير طنجة:

إن أبعاد تدوير طنجة تكمن بالأساس في فقدان المغرب لسيادته على المدينة، بحيث أصبح الأجانب هم سادة طنجة، والقائمين عليها، والمسيرين لها، أما الدولة المغربية فتواجدها ظل صورياً بعد تمثيل السلطان مندوب له بطنجة، وقد تم وضع مجموعة من المؤسسات لإدارة طنجة تحيط بسيادة الأجانب وفهميش المغاربة على مستوى التسيير، ومن بين المؤشرات الدالة على الطابع الدولي لطنجة خلال هذه المرحلة، إنشاء مجموعة من المرافق كالبريد والتلغراف والمدارس التعليمية والمدارس الخاصة، أما العمارات التي تداولت في طنجة فتجده: الفرنك المغربي، البسيطة الإسبانية، الفرنك الفرنسي، والجنيه الإسترليني، والدولار الأمريكي، كما اختلفت اللغات المتداولة في الصحافة المكتوبة والإذاعات.

II - الوضعية الإدارية لطنجة خلال النظام الدولي:

أقرت اتفاقية باريس 18 دجنبر 1923 م أجهزة إدارية متنوعة:

✓ المندوب السلطاني: يمثل السلطان المغربي، يحرص على احترام المغاربة للنظام الدولي، يترأس المجلس التشريعي، لكن ليس له حق التصويت.

✓ المجلس التشريعي: يتكون من 18 نائباً أجنبياً، و6 مغاربة مسلمين، و3 مغاربة يهود، يسن القوانين التنظيمية.

✓ المدير: يتولى المنصب لمدة 6 سنوات، يعينه المجلس التشريعي.

✓ الدرك: ينقسم إلى مشاة وخيالة، يهتم بالشؤون الأمنية.

✓ لجنة المراقبة: تتكون من قناصل الدول الموقعة على مؤتمر الجزيرة الخضراء، وتجتمع مرتين في الشهر.

✓ محكمة مختلطة: تتكون من 7 قضاة، تفصل في التزاعات الجنائية والمدنية والتجارية.

III - الوضعية الاقتصادية والاجتماعية لطنجة:

هيمن الأجانب (الأسبان، الفرنسيون، الانجليز)، وغيرهم على الأنشطة الاقتصادية بمنطقة طنجة من خلال الشركات التجارية والبنكية وأنشطة التهريب، وقد استفادوا من امتيازات متعددة، منها: ضعف أجور العمال، وانخفاض أسعار العقار، وندرة الرسوم الجمركية...، ورغم كونهم شكلوا أغلىية السكان، فقد كانت أوضاع المغاربة جد بئية، وزاولوا أنشطة متواضعة كخدم البيوت وتجار وحرفيون صغار.

VI - ردود الفعل تجاه التدويل ومساهمة طنجة في الكفاح الوطني من أجل الاستقلال:

لقد تضافرت الجهود من أجل التصدي للخطط الإمبريالية بمدينة طنجة، فقد عملت الجمعيات على خدمة الحركة الوطنية، خاصة جمعية الشروق، التي أسستها مجموعة من المثقفين بالمدينة سنة 1926م، والجمعية الاهلية التي تأسست سنة 1928م، وكلها جمعيات مهدفة إلى نشر الفكر الوطني في صفوف المغاربة، وإلى جانب الجمعيات نجد أيضاً المثقفون، فقد شكلت زيارة المثقف السوري الأمير شيكيب أرسلان إلى المدينة سنة 1930م حدثاً هاماً، خاصة وأنه من دعاة القومية العربية، وبناء العالم العربي الموحد، إلا أن الفرنسيين سيعملون على إخراجه من المدينة مخافة تأثير زيارته في السكان معنوياً وسياسياً.

أما من داخل المدينة، فقد ظهرت حركة تعليمية إسلامية عملت على التصدي لنفوذ الثقافي العربي، ونشر الثقافة الإسلامية العربية، وتكونت هذه الحركة من أساتذة وتلاميذ، وفي نفس السياق استغلت الصحف الوطنية بعض الحرية بمدينة طنجة باعتبارها الجزء الوحيد من البلاد الذي مكن الوطنين التخلص من موجة القمع ضدتهم في المنطقتين الإسبانية والفرنسية لتأسيس مجموعة من الصحف، مثل: "صوت الشعب"، و"الشعب"، و"منبر الشعب" لتدافع عن السيادة الوطنية، كما شهدت المدينة مجموعة من الزيارات السلطانية لفك العزلة عن الشعب المغربي بالمدينة، خاصة زيارة ولی العهد آنذاك الأمير مولاي الحسن، وزيارة المغفور له محمد الخامس في أبريل سنة 1947م وخطابه التاريخي الشهير بالمدينة، والذي فجر حماس الجماهير المغربية، وأصبحت المدينة بذلك عاصمة من عواصم الكفاح الوطني، بل وأصبحت مسرحاً لمظاهرات واصطدامات عنيفة في مطلع الخمسينيات، وبذلك كانت بداية المطالبة باستقلال المدينة، وبالتالي استقلال المغرب بكماله ونيله لحريته.

خاتمة:

عرفت طنجة وضعًا دولياً فريداً من نوعه في العالم، وكان الوضع يصب في إطار فقدان المدينة هويتها المغربية، وإضفاء صبغة غربية عليها، إلا أن فطنة المغاربة بقيادة المغفور له محمد الخامس وفدت أمام كل المحاولات الاستعمارية إلى فك ارتباط طنجة بالملكة، والمطالبة باستقلال المدينة وعودتها إلى سيادة المغرب رغم القمع الذي مورس ضد الوطنيين المطالبين بالحرية.